﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾ [الانشقاق: 16 - 19]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

التّأكيدُ على صحّة البعث الّذي أنكره الكافر

لمّا أخبر الله سبحانه بإنكار الكافر لِما أتاه به الرُّسل مِن الحشر والبعث، سبَّبَ عنه الإقسامَ على صحّة ذلك ووقوعه، لأنَّهُ ليس عند النَّذيرِ النّاصحِ الشَّفوقِ بَعْدَ إقامَةِ الأدلَّة إلّا الأيمان على صِحَّةِ ما قالَ، نَظَرًا مِنهُ لِلمَنصوحِ وشَفَقَةً عليه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾: (شفق) أصلٌ واحدٌ، يدلّ على رِقّةٍ في الشّيء، ثم يشتقّ منه. فمِن ذلك قولُهم: أشفقت مِن الأمر، إذا رققت وحاذرت. ومنه الشّفق: النَّدأةُ الَّتي تُرى في السَّماء عند غياب الشَّمس، وهي الحُمرة، وسُمّيت بذلك للونها ورِقَّتها. وقد سُمع بعض العرب يقولون: عليه ثوبٌ مصبوغٌ كَأنَّه الشَّفق، وكان أحمرَ. فهذا شاهدٌ لِمَن قال إنَّه الحُمرة. وعلى ذلك فالشَّفق: الحمرةُ الَّتي بين غروب الشَّمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة[2]. وهو توجيه الجمهور، وقد نُقل عن عكرمةَ ومجاهدٍ أنّ الشّفق هو النّهار، والأوّل أرجح[3].

2) ﴿وَسَقَ﴾: (وسق) أصلٌ يَدُلُّ على حِمل الشيء. وسُمّي القَدْر المعلوم من الحِمل كحِمل البعير وسقًا، ووسَقَتِ العينُ الماء: حَمَلَته. والوسق أيضًا: جمع المتفرِّق. يقال: وسقْتُ الشَّيء: إذا جمعته، ومنه الوسيقة: الإبل المجموعة كالرُّفقة مِن النّاس[4]. والرَّبط بين معنى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 21/ 345.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، مفردات القرآن: (شفق).
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 31/ 265.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (وسق).

الجمع وملمح اشتقاقه، أنّه يزيد على الجمع بالحمل. ومن هنا فمعنى ﴿وَسَقَ﴾ في الآية جَمعُ ما كان منتشرًا في النّهار[1].

3) ﴿ٱتَّسَقَ﴾: أصله مِن (وسق) المتقدّم، فالاتّساق: الاجتماع والاطِّراد. وكُلُّ ما انضَمَّ، فقد اتَّسق[2]. وهو معنى اللَّفظ في الآية، فعن ابن عباسٍ ﷺ أنَّ اتّساق القمر: استواؤه واجتماعه، وتكامله، وتمامه، واستدارته، وذلك ليلة ثلاثة عشر إلى ستّة عشر[3].

4) ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾: (ركب) أصلٌ واحدٌ مطّردٌ منقاس، وهو عُلوُّ شيءٍ شيئًا[4]، والرّكوب في الأصل: اعتلاء الإنسان ظهر حيوان، قال تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾ [النحل: 8]، وقد يستعمل في السّفينة؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ [العنكبوت: 65][5]. والرّكوب في الآية مجاز عن التّلاقي والمصادفة، لكونه لازمًا للرّكوب[6].

5) ﴿طَبَقًا﴾: (طبق) أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، وهو يدلّ على وضعِ شيءٍ مبسوطٍ على مِثلِه حتّى يُغطّيَه. من ذلك الطَّبق؛ تقول: أطبقت الشّيء على الشَّيء، فالأوّل طَبَقٌ للثّاني، وقد تطابقا. ومن هذا قولهم: (أطبق النّاس على كذا)، كأنَّ أقوالَهم تساوت حتَّى لو صُيِّر أحدُهما طبقًا للآخر لَصلح[7]. ويُستعمل الطِّباقُ في الشّيء الّذي يكون فوق الآخر؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ [الملك: 3]، أي: بعضها فوق بعض[8]. ويُقال الطَّبَقُ للحال المطابقة لغيرها والشَّيء المساوي شيئًا آخر في حجمه وقَدْره وشِدَّته وهوله. ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة، والمعنى: لتركبنّ أحوالًا بعد أحوالٍ هي طبقاتٌ في الشِّدّة بعضها أرفعُ مِن بَعض[9].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 101، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 227.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (وسق).
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 102.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ركب).
(5) الرّاغب، المفردات: (ركب).
(6) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 171.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طبق).
(8) الرّاغب، المفردات: (طبق).
(9) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 728، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 228.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إقسام الربّ سبحانه على تغيّر أحوال الإنسان

أقسمَ اللّه تعالى باحمرار الأفق عند الغروب، وباللّيل وما جمع من الدّوابّ والحشرات والهوامِّ وغير ذلك ممّا كان منتشرًا في النّهار، وبالقمر إذا تمّ واستدار وتكامل نورُه، لتركبُنَّ - أيها النّاس - أطوارًا متعدّدةً وأحوالًا متباينة: من النُّطفة إلى العلقة إلى المُضْغة إلى نفخ الرّوح إلى الموت إلى البعث والنّشور[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوع الفاء ودلالتها في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾:

الحساب لابدّ واقعٌ، والجزاء لا شكّ متحقّقٌ بالخير أو بالشّرّ

وُصل قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ بحرف الفاء الاستئنافيّة أي: (فأقسم لكم أيّها العباد بالشَّفَقِ)[2]. ويجوز أن تكون الفاءُ الفصيحةُ للاستئناف والسببيّة؛ لأنّها في جواب شرطٍ متقدّم، أي: (إذا عرفت هذا أو إذا تحقّقت الرّجوع بالبعث فلا أقسم)[3]. وتصلحُ الفاءُ أيضًا لتفريع القَسَم وجوابه على التّفصيل الّذي في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ إلى هنا: فإنّه اقتضى أنّ ثمّة حسابًا وجزاءً بخيرٍ وشرٍّ؛ فكان هذا التّفريعُ فذلكةً وحوصلةً لِما فُصِّل مِن الأحوال، وكان أيضًا جمعًا إجماليًّا لِما يعترض في ذلك مِن الأهوال[4].

دلالة دخول (لا) على القَسَم:

توكيد القسم بحرف النّفي

في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ ورَد حرف (لا) قَبل فِعل القَسَم، فذهب جمهور المفسّرين إلى كونها نافيةً، ثمّ اختلفوا في توجيه النّفي على أوجهٍ؛ منها أنّها لنفي الكلام السّابق، وهو هنا اعتقادُ الكافر عَدَمَ الحَوْرِ.

---

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 230، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 101 - 102، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 227 - 228، ونخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 589.

(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 31/ 265.

(3) درويش، إعراب القرآن: 10/ 426.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 226.

ويجوز أيضًا في توجيه النّفي أنه لا يُقْسِمُ بالشّيءِ إلّا إعظاماً له؛ يَدُلُّكَ عليه قولُه تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة: 75 - 76] فكأنّه بإدخالِ حرفِ النّفي يقول: إنَّ إعظامي له بإقسامي به كَلا إعظامٍ، يعني أنه يَسْتَأْهِلُ فوق ذلك.

وذهب بعضُ العلماء إلى كون (لا) هنا صلةً، أي: مزيدةً لتوكيد القسم. مِثْلُها في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد: 29]، مع أنّ أصلها نافيةٌ تدلّ على أنّ القائل غيرُ محتاج إلى القسم؛ لأنّ الأمرَ واضحُ الثُّبوت، ثم كثُر هذا الاستعمال فصار مرادًا تأكيدُ الخبر فساوى القسم بدليل قوله عقبه في موضع الواقعة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة: 76]، وهذا الوجهُ الثّاني هو الأنسب بما وقع مِن مثله في القرآن. وعلى كلا الوجهين فهو إدماجٌ للتّنويه بشأن ما لو كان مُقسما لأقسم به[1].

سرُّ إيثار لفظ القَسَم دون غيره:

قَسَمُ الله تعالى صادقٌ ووَعْدُه مُنجَزٌ

أوثر التّعبير بفعل ﴿أُقۡسِمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ دون نظائره كـ(أحلف) مثلًا؛ لأنّ هذا موضعُ قَسَم لله تعالى، ولَفظُ القَسَم يُستعمل لليمين الصّادقة - حقيقةً أو وهمًا - والحَلِفُ لليمين الكاذبة على إطلاقها، فبين دلالتهما كما بين العامِّ والخاصِّ؛ فالقَسَمُ لمطلق اليمين بعامَّة، ويختصّ الحَلِفُ بالحنث في اليمين، على ما اطّرد استعمالُه في البيان القرآنيّ[2].

دلالةُ التّعبير بالفِعل ﴿أُقۡسِمُ﴾ مضارعًا:

ما زال العبادُ مُتقلِّبين مِن حالٍ إلى حالٍ

عُبِّر في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ بصيغة المضارع في الفعل ﴿أُقۡسِمُ﴾ دون غيره مِن الأزمنة للدِّلالة على الحال، فغَرَض المُقسِم مِن القَسَم هو تأكيدُ المُقسَم عليه - وهو جواب القسم -

(1) السّمين الحلبيّ، الدرّ المصون: 10/ 561، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 330.
(2) عائشة بنت الشّاطئ، الإعجاز البيانيّ للقرآن، ص: 224.

وتأكيدُ الخبر وتحقيقُه؛ والمعنى هنا: لتُلاقُنَّ أيّها العِباد حالًا بعد حال. وأُدمِجَ فيه أوصافُ الأشياء المُقسَم بها للدِّلالة على تمام قدرة الله تعالى[1].

نوعُ الباء ودلالتها في قوله ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾:

قـوّةُ القَسَم وأصالتُه

الباءُ في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ دالَّةٌ على القَسَم، وهي الأصلُ في حروف القَسَم لدلالتها على الملابسة في أصل معانيها، ولهذا فهي تَدخُل على الظّاهر والمضمر، بخلاف غيرها الدّاخلة على الظّاهر فقط، كما أنّ الواو والتاء لاحقتان بها في القَسَم الإنشائيِّ دون الاستعطافيِّ[2].

دلالة تعريف لفظ (الشّفق) و(اللّيل) و(القمر):

وقوعُ القَسَم بالآيتين المتكاملتَين اللّيل والنّهار

جاء لفظ (الشَّفق) في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ مُعرَّفًا بـ(ال) الدّالَّة على تعريف الجنس المقتضي للعموم، ويسمّيها البلاغيّون (لامَ الحقيقة)، وتُسمَّى أيضًا لامَ العهد الذِّهنيِّ[3]، وهي الّتي تُبيِّن الحقيقة بقطع النَّظر عن الأفراد، وهي تُعرِّف حقيقةً ذِهنيَّةً يراد بها فردٌ مُبهم مِن أفراد الحقيقة باعتبار عهديّته في الذّهن لاشتمال الحقيقة عليه[4].

والجمهورُ على أنَّ (الشَّفق) الحمرةُ الّتي تشاهَد في أُفُق المغرب بعد الغروب، وبغيبوبتها يخرُجُ وقتُ المغرب ويدخُلُ وقتُ العشاء عند عامّة العلماء، أو هو البياض الّذي يعقُبها، وسُمّي به على كلٍّ مِن المعنيين لِرِقَّته، لكنَّ مناسبته لمعنى البياض أكثر، وهو مِن الشَّفقة الّتي هي عبارةٌ عَن رِقَّة القلب، ولا شَكَّ أنَّ ضوء الشّمس يأخذ في الرِّقة والضّعف مِن غَيبة الشَّمس إلى أن يستوليَ سوادُ اللّيل على الآفاق كُلِّها.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 152.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 02/ 378.
(3) الخطيب القزوينيّ، الإيضاح: 2/ 21.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 263.

وقد نُقل عن عكرمة ومجاهدٍ أنَّ الشَّفق هو النّهار، ليُناسب عَطفَ اللَّيل عليه في الآية، وبناءً على أنّ الشّفق هو أثر الشّمس، وهو كوكبٌ نهاريٌّ، وأثرُه هو النّهار، فعلى هذا يقع القسم باللّيل والنّهار اللّذَين أحدهما مَعاشٌ والآخر سَكَنٌ، وبهما قِوامُ أمور العالَم[1].

الإقسامُ باللَّيل وما يجمَعُه مِن المخلوقات

نوع الواوِ ودلالتُها في قوله ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾:

عُطف قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ بحرف الواو الدّالِّ على الجمع والاقتران؛ فقد وقَعَ القَسَمُ بهذه المخلوقات تشريفًا لها ودعوةً إلى الاعتبار بالآيات الكونيَّة مع ما فيها من الامتنان بتسخيرها لمنفعة الإنسان. وكونُ الواوِ هنا للعطف لا للقَسَم لأنّ اجتماع قَسَمين عَلى جوابٍ واحدٍ مُحالٌ كما ذَكرَه بعضُ أهل العلم[2].

نوع الواو ودلالتها في قوله ﴿وَمَا وَسَقَ﴾:

عُطِفَ قولُه تعالى: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ بحرف الواو الدّالّ على الجمع والاقتران، والمعنى (أُقسم لكم باللّيل وبما جمَعَه وما ضَمَّه وسَتَره بظُلْمته).

نوع (ما) ودلالة استعمالها:

القسم عَلَى المجموع لا على نَفْسِ الجمع

يجوز أن تكون (ما) الواردةُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ مصدريَّةً، أو نكرةً موصوفةً، أو موصولةً على طريقة حذف العائد المنصوب. وقد رجَّحَ بعضُهم كونَها موصولةً أو مَوْصوفةً لا مصدريةً؛ لأنّ الموصول مع أنّه يحتاج إلَى تقدير العائد إلّا أنّه يفيد القسم عَلَى جميع المخلوقات، وأمّا المصدر فيفيد القسم عَلَى نفس الجمع والسّتر، ولا يستلزمُ القسمَ عَلَى المجموع[3].

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 31/ 265.
(2) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 170.
(3) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 170.

دلالة التّعبير بالفعل ﴿وَسَقَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

عُبّر بلفظ ﴿وَسَقَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾، ومعناه في اللّغة: الجمع، والمعنى: (وما جَمَعَ مِمّا كان منتشرًا في النَّهار مِن ناسٍ وحيوانٍ)، فإنّها تأوي في اللّيل إلى مآويها، وذلك ممّا جعل الله في الجِبِلَّة مِن طلب الأحياء السُّكونَ في اللّيل. قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: 73]، وذلك مِن بديع التَّكوين، فلذلك أقسَمَ به قَسَمًا أدمجتْ فيه منَّة. وقيل: ما وسَقَه اللَّيل: النُّجوم؛ لأنَّها تَظْهرُ في اللَّيل، فشبَّه ظهورَها فيه بوسق الواسق أشياءَ مُتفرِّقَةً. وهذا أنسبُ بعطف القمر عليه[1]. والتّعبير عنه بالماضي دليلُ وقوعه وتأكُّد تَحقُّقِه.

مِن بديع التَّكوين وعظيم المِنَنِ جمعُ اللّيل ما كان منتشرًا في النّهار

نوعُ الواو ودلالتها في قوله ﴿وَٱلۡقَمَرِ﴾:

عُطف قولُه تعالى: (القمر) بحرف الواو الدّالِّ على الجمع والاقتران، فقد وقع القَسَمُ بهذه المخلوقات تشريفًا لها ودعوةً إلى الاعتبار بالآيات الكونيَّة، مع ما فيها مِن الامتنان بتسخيرها لمنفعة الإنسان. وقال بعضُ العلماء إنّ الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ للعطْف لا للقسم؛ لأنّ اجتماع قَسَمين عَلى جوابٍ واحدٍ مُحالٌ[2]. وفي جمع هذه المتعاطفات الثَّلاثةِ بعضِها على بعضٍ وجهٌ مناسبة، ففي ذِكر الشّفق إيماءٌ إلى شَبَه حالة انتهاء الدُّنيا؛ لأنَّ غروب الشَّمس مثلُ حالة الموت، وفي ذكر اللّيل إيماءٌ إلى شدّة الهول يوم الحساب، وفي ذكر القمر إيماءٌ إلى حصول الرّحمة للمؤمنين[3].

الإقسام بالبدر التّمام إيماءٌ إلى الرَّحمة والإكرام

وجهُ استعمال الأداة ﴿إِذَا﴾:

الحرف ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ ظرفٌ للحالِ،

انتفاع النّاس بضوء القمر محطُّ الامتنان

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 101، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 227.
(2) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 170.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 226، (بتصرّف يسير).

خالٍ مِن معنى الشّرط متعلِّقٌ بفِعل القَسَم، أي: (وقتَ اتّساقه واستوائه). وتقييدُ القَسَم به بتلك الحالة لأنّها مظهرٌ من مظاهر نعمة اللّه على النّاس بضيائه، ويهتدي بنوره المسافرون في السُّرى[1].

دلالةُ التّعبير بالفعل ﴿ٱتَّسَقَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

اتّساق القمر استدارتُه أيّام اللّيالي البيض

أصلُ الفعل ﴿ٱتَّسَقَ﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ (اوتسق) قُلِبت الواو تاءً فوقيَّةً طلبًا لإدغامها في تاء الافتعال وهو قلبٌ مُطَّرد. ومعناه الاجتماعُ، واتّساق القمر: اجتماعُ ضيائه، وتمامُه، واكتمالُه، وهو (افتعال) مِن الوسق بمعنى الجمع وذلك في ليلة البدر، وتقييد القسم به بتلك الحالة لأنَّها مظهرُ نعمة اللّه على النّاس بضيائه[2]. والإتيان به ماضيًا دليلُ تحقُّقِه وتأكُّدِ وقوعه.

سرّ إيثار لفظ (القمر) دون (البدر):

التّمثيل بالقمر تامًّا أدلّ على القدرة من التّمثيل بطَورٍ مِن أطواره

القمر هو الجِرمُ السّماويُّ الطبيعيُّ للأرض، الشّامل لجميع أطواره. أمّا البدر فهو طورٌ واحدٌ مِن أطوارِه، ومرحلةٌ مِن مراحله يظهر فيها مِن الأرض مضاءً بالكامل. والقَسَم في الآية هو على الجِرم بتمامه حين اجتماع ضوئه، واكتمال شكله في رؤية العين فهو أدلّ على القدرة مِن القَسَم بحالةٍ مِن حالاته، فضلًا عن أنَّ التّعبير بلفظ الاتّساق جَمَع لفظ القمر بوصفه جِرمًا، ووَصْفِه في حالة كونه بدرًا.

بلاغةُ التّناسب الدّلاليّ والصّوتيّ بين ﴿وَسَقَ﴾ و﴿ٱتَّسَقَ﴾:

جناسُ الإلحاق بما اتّفق في أصل الاشتقاق

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ محسّن بديعي يسمّى بجناس الاشتقاق؛ إذ توافَق الفعلان الماضيان: ﴿وَسَقَ﴾، و﴿ٱتَّسَقَ﴾ في الأصول وجُلِّ الحروف، وهو ملحق بالجناس الاصطلاحيّ؛ لأنّ كثيرًا ما يُلحق بالتّجنيس الكلمتان الرّاجعتان إلى

(1) درويش، إعراب القرآن: 10/ 426، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 227.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 227.

أصلٍ واحد بالاشتقاق، لِما فيه من المُسامحة، ولِما فيه من التَّجانس اللفظيّ والصّوتيّ[1]. وفي التّعبير بهما - مع تشابه معانيهما لرجوعهما الى أصل واحد - إشعارٌ بالمبالغة في دلالة الجمع المرادة في الآية وتأكيدها، سواءٌ ما يجمعه اللَّيلُ ممّا انتشر في النَّهار، أو اجتماع ضياء القمر، واكتماله؛ إشارةً إلى جمع الخلائق يوم القيامة للحساب والجزاء، كما يدلّ عليه موضوعُ السّورة.

نوع اللام ودلالتها في قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾:

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ واقعةٌ في جواب القسم، فهي جوابيّة للتوكيد، أفادت تأكيدَ معنى الرُّكوب أحوالًا بعد أحوال فهي طبقاتٌ في الشِّدّة، بعضُها أرفع من بعض[2].

نكتة استعمال الفعل (تركبنّ):

أوثر لفظ ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ الدّالُّ في معناه اللُّغويّ على اعتلاء شيء؛ لكنَّ حقيقتَه متعذّرةٌ هنا، وله عدّةُ معانٍ مجازيّة مستعملة في الكلام؛ والَّتي يصحّ أن تراد في الآية منها: الغلب، والمتابعة، والسّلوك، والاقتحام، والملازمة، والرِّفعة. وأصل تلك المعاني إمّا استعارة وإمّا تمثيل يقال: ركب أمرًا صعبًا وارتكب خطأً[3].

أحوالُ الإنسان المتعدّدة المتنوّعة، في حياته وبعد مماته

ويجوز أنْ يراد به الموت وما بعده مِن أهوال القيامة إلى أن يستقرّ الأمر على ما يُقضى به على الإنسان مِن جنّةٍ أو نار، فهما الدّوام والخلود. ويدخل في هذه الجملة أحوالُ الإنسان منذ يكون نطفةً إلى أن يصير رجلًا ثم يموت فيكون في البرزخ، ثمّ يُحشر ثمّ ينقل، إمّا إلى جنَّة وإمّا إلى نار[4].

(1) العصام الإسفراييني، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: 2/ 464.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 102.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 227، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (ركب).
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 102.

بلاغة المجاز في لفظ ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾:

في الرُّكوب مُبالَغةٌ في إصابة الشِّدّة

تضمّن قوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ مجازًا في لفظ ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾؛ إذ الرّكوب مجازٌ عن التّلاقي والمصادفة، لكونه لازمًا للرّكوب؛ ووجهُ التّعْبير به إفادةُ الاعتلاء المعنويِّ تشبيهًا بالاعتلاء الحِسّيِّ، فيفيد المُبالَغَة في إصابة الشِّدَّة[1]. ويحتمل أن يكون الرُّكوب مجازًا في السَّير بعلاقة الإطلاق، أي لتحضرنّ للحساب جماعاتٍ بعد جماعاتٍ على معنى قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة: 30] وهذا تهديدٌ لمُنْكريه[2].

توجيهُ القراءات المتواترة في لفظ ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾:

التّنوّعُ في توجيه الخطاب سَعةٌ في الدّلالة وثراءٌ

تنوّعت القراءة في قوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾، فقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ بفتح الباء ﴿لَتَرۡكَبَنَّ﴾، وقرأ الباقون بضمّها ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾[3].

فالحجّة لمن قرأه بالضمّ ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ أنّه يخاطب النّاس في ذلك؛ لأنّه ذَكَر مَن يُؤتى كتابه بيمينه وبشماله، ثمَّ ذكر ركوبَهم طبقًا عن طبق، ثمّ قال: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، والمعنى: (لتركبُنَّ حالًا بعد حال من إحياءٍ وإماتةٍ وبعثٍ حتّى تصيروا إلى الله تعالى).

والحجّة لمن قرأه بالفتح أنّ المعنى: (لتركبَنّ يا محمّد ﷺ حالًا بعد حالٍ)، يذكُر حالاتِ النّبيّ ﷺ مِن يوم أوحي إليه إلى يوم قبَضه الله سبحانه، وقد روي أيضًا: (لتركبَنَّ يا محمّد سماءً بعد سماءٍ) يعني في المعارج.

ومعنى آخر، فقال آخرون - منهم ابن عبّاس رضي الله عنهما - : لتركبَنّ، أي: (لَتَصيرَنّ الأمورُ حالًا بعد حال بتغيّرها واختلاف الأزمان)، يعني الشّدّة، فالأمور فاعلة، وتكون التّاء لتأنيث الجمع.

(1) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 171.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 229.
(3) ابن الجزريّ، النّشر: 02/ 399.

ومعنى آخر، فقال آخرون - منهم ابن مسعود - : (لتركبنّ السّماءُ حالًا بعد حالٍ، تكون وردةً كالدِّهان، وتكون كالمهل في اختلاف هَيئتِها)، فتكون التّاء لتأنيث السّماء[1].

دلالةُ لفظ ﴿طَبَقٍ﴾ في الآية:

حـال الإنسـان ملابسٌ لصاحبه كملابسة الطَّبق لما طبق عليه

ورد لفظُ ﴿طَبَقٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ اسمًا مُفردًا على وزن (فَعَلٍ)، وهو إمّا مشتقٌّ مِن المطابقة كاشتقاق الصِّفة المشبَّهة، ثم عومِل معاملة الأسماء وتُنوسي منه الاشتقاق. وإمّا أن يكون أصلُه اسمَ الطَّبق وهو الغطاء، لوحظ فيه التَّشبيه ثم تنوسي ذلك فجاءت منه مادَّة المطابقة بمعنى المساواة، فيكون مِن المشتقّات مِن الأسماء الجامدة. وهذا مِن الحقيقة، لأنّ الغطاء مُساوٍ لما يُغطّيه. ويُطلق الطَّبق على الحالة، لأنَّها ملابِسةٌ لصاحبها كملابسة الطَّبق لِما طبق عليه[2].

وقد يكونُ لفظ ﴿طَبَقٍ﴾ اسمَ جمعٍ لـ(طبقة): وهي المرتبة، فيكون المعنى: (لتركبنّ أحوالًا بعد أحوال هي طبقاتٌ في الشّدّة بعضُها أرفعُ من بعض). أو هي مكانٌ فوق مكانٍ آخر معتبر مثله في المقدار إلا أنّه مرتفع عليه. وهذا مِن المجاز، يقال: (أتانا طبقٌ مِن النّاس)، أي جماعة[3].

نُكتةُ تنكير لفظ (طبق):

أحـوالُ يـوم القيامة مَناطُ التَّعظيم والتَّهويل

صيغَ لفظ (طَبَق) في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ نكرةً في الموضعين، والنُّكتةُ في تنكيره التّعظيمُ والتّهويلُ؛ لأنّه تهديدٌ بأهوال القيامة، وقد يكون التّنوينُ فيهما للتّنويع إن كان المعنى: (لتركبنّ منزلةً بعد منزلةٍ)، كلُّ واحدةٍ مباينةٌ للأخرى[4].

(1) ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص: 356.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 228.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 728، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 228.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 229.

دلالة استعمال حرف ﴿عَن﴾:

ركـوبُ الإنسان للشَّدائد حالًا بعد حالٍ

المعنى الحقيقيُّ لِحرف ﴿عَن﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ هو المجاوزة، غير أنّه هنا بمعنى (بعد) وهو معنًى مجازيٌّ كما يقال: (ورِث المجدَ كابرًا عن كابرٍ)، والبَعديّةُ هنا اعتباريَّةٌ، وهي بَعديَّةُ ارتقاء، كقوله تعالى: ﴿زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النحل: 88]. والمعنى: (لتلاقُنَّ هولًا أعظَمَ مِن هول)، أو (لتركبنّ الشّدائد، الموت والبعث والحساب، حالًا بعد حالٍ)[1].

بلاغةُ صياغة الجملة ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾:

روعـــةُ نسج الـكـلـمـات والمباني، لإيصال أبلغِ الوعظ في المعاني

قد نُسجت هذه الجملة القرآنيَّةُ نسجًا مجملًا لتوفير المعاني الّتي تذهب إليها أفهامُ السّامعين، فجاءت على أبدع ما يُنسج عليه الكلام الّذي يُرسَل إرسال الأمثال مِن الكلام الجامع البديع النّسج الوافر المعنى، ولذلك كثُرت تأويلاتُ المفسّرين لها. فلمعاني الرّكوب المجازية ولمعاني الطَّبق من حقيقيٍّ ومجازيٍّ مُتَّسع لِما تفيده الآيةُ من المعاني، وذلك ما جَعل لإيثار هذين اللّفظين في هذه الآية خصوصيّةً من أفنان الإعجاز القرآنيّ[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القسم والحَلِف واليمين:

لا يمينَ أصدقُ مِن قَسَمِ الله تعالى إذا أقسم

أوثر التَّعبيرُ بفعل ﴿أُقۡسِمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ دون نظائره كـ(الحَلِف) مثلًا و(اليمين)؛ لكون القَسَم أبلغَ مِن الحَلِف، فمعنى قول المُقسِم: أُقسِم بالله أنّه صار ذا قسم بالله، والقسم النَّصيب، والمراد أنّ الّذي أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله، أمّا الحَلِف فمِن قولك (سيف حليف) أي قاطعٌ ماضٍ فإذا قلت: حَلَف بالله فكأنّك قلت: قَطَع

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 458، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 229.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 227.

المخاصمة بالله، فالأوّل أبلغ لأنّه يتضمّن معنًى آخرَ مع دفع الخصم ففيه معنيان، بخلاف (حَلَف) فإنّه يفيد معنًى واحدًا وهو قطعُ المخاصَمة فقط[1].

وكذلك يلفِتُ صنيعُ القرآن إلى فرقٍ دقيقٍ بين (القسم) و(الحَلِف)، فإن لم نقل إنّ القَسَم لليمين الصّادقة - حقيقةً أو وهمًا - والحَلِف لليمين الكاذبة على إطلاقها، فلا أقَلَّ مِن أن يكون بين دلالتهما الفرقُ بين العامِّ والخاصِّ: فيكون القَسَمُ لمطلق اليمين بعامَّة، ويختصّ الحَلِف بالحنث في اليمين، على ما اطّرد استعمالُه في البيان القرآنيِّ[2].

أمّا اليمينُ: فهو القوَّة. وسُمّي الحلِفُ يمينًا لأنَّ المتحالِفَين كأنَّ أحدهما يصفِّق بيمينه على يمين صاحبه. فاليَمينُ مستعارٌ في الحلف من اليد اعتبارًا بما يفعله المعاهد والمحالف وغيره. قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القلم: 39][3]. واختيرَ لفظ القسم في الآية لكونه أبلغَ، ولإطلاقه على اليمين عامّةً، صِدقه وكَذِبه، وليس أصدق مِن يمين الله تعالى إذا أقسم.

(وَسَقَ) و(اتّسقَ) و(ضمَّ):

الوسق جمعٌ وحملٌ لمقدارٍ معلوم، والاتّساقُ انتظامُ الشَّيء واكتمالُه

يتجلّى الفرق بين لفظي (وسق) و(ضمّ) في علاقة العُموم والخُصوص، فلفظ (الضمّ) عامٌّ في كُلِّ جَمعٍ، أمّا لفظ (الوسق) فيدلّ ملمح اشتقاقه على أنّه يزيد على الجمع بالحمل، فهو خاصّ بالحِمل لقدر معلوم، مأخوذ من أوسقت البعير إذا حمّلته حِمله. وناقة واسق، ونوق مواسيق، إذا حملت[4]. أمّا الاتّساق فيأتي بمعنى الانتظام والاستواء والاجتماع. ومِن هنا استُعمل لفظ

(1) أبو هلال العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 56.
(2) عائشة بنت الشّاطئ، الإعجاز البيانيّ للقرآن، ص: 224.
(3) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (يمن).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وسق).

(وسق) مع (اللّيل) الّذي يجمع الأشياء المنشورة في النّهار وكأنّه يحملها إلى مآويها.
واستُعمل لفظ (اتّسق) مع القمر بمعنى: اجتمع ضياؤه، وتمّ، واستوى، وانتظم شديد النّور مكتمله.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"